إيمان إبراهيم

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ١٥: ٦؛ ٢صموئيل ١١، ١٢؛ رومية ٣: ٢٠، ٣١؛ ٤: ١- ١٧؛ غلاطية ٣: ٢١-٢٣؛ ١يوحنا ٣: ٤.

آية الحفظ: «أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ» (رومية ٣: ٣١).

إنّ رومية ٤ يأخذنا إلى أساس المبدأ الكتابي القائل بأنّ الخلاص هو بالإيمان وحده، وإلى صميم ما بدأت به نهضة الإصلاح البروتستانتي. في الحقيقة، إنّه في مثل هذا الأسبوع منذ خمسمائة سنة مضت بدأت نهضة الإصلاح البروتستانتي بمارتن لوثر. ومنذ ذلك الحين لم ينظر الأمناء من البروتستانت إلى الوراء.

من خلال الإشارة إلى إبراهيم، باعتباره نموذجاً للقداسة والتقوى، وكمثال لإنسان احتاج أن يخلص بالنعمة بدون أعمال الناموس، نجد أن بولس لم يترك للقارئ مجالاً لسوء الفهم. فإذا كانت أفضل أعمال الإنسان [أي إبراهيم] وطاعته للناموس لم تكن كافيةً لأن تبرّره أمام الله، فما هو الرجاء لأي إنسان غيره؟ إذا كان الأمر قد تطلّب من إبراهيم أن يعتمد على نعمة الله، فإنّ ذلك ينبغي أن ينطبق على غيره من الناس، يهوداً كانوا أم أمميّين.

يعلن بولس الرسول في رومية ٤ ثلاث مراحل رئيسيّة في خطّة الخلاص: (١) وعد البركات الإلهية (وعد النعمة)، (٢) الاستجابة الإنسانية لذلك الوعد (استجابة الإيمان)، (٣) الإعلان الإلهي للبرّ المحسوب للذين يؤمنون (التبرير). كان ذلك ما حدث مع إبراهيم، وهو ما يحدث معنا.

من المهمّ أن نتذكّر أنّ الخلاص بالنسبة لبولس الرسول هو بالنعمة؛ إنّه منحةٌ تُعطى لنا مهما كانت درجة عدم أهليّتنا أو استحقاقنا. فلو نلناها عن استحقاق نكون

مديونين لها ولو كنّا مدينين فهي دينُ علينا وليس هبة مجانيّة. ولمخلوقات ساقطة فاسدة مثلنا فالخلاص يتحتّم أن يكون هبةً من الله.

كان على بولس أن يرجع بذاكرته إلى سفر التكوين ليثبت نظرته للخلاص بالإيمان وحده، مقتبساً من تكوين ١٥: ٦ «فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا.» ها هو التبرير بالإيمان في الصفحات الأولى للكتاب المقدّس.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٤ تشرين الثاني (نوفمبر).

الأحد

٢٩ تشرين الأول (أكتوبر)

الناموس

اقرأ رومية ٣: ٣١؛ ما هي النقطة التي يؤكد عليها بولس هنا؟ ما أهمية هذه النقطة بالنسبة لنا كأدفنتست سبتيين؟

يشدّد بولس الرسول في هذه الفقرة على أنّ الإيمان لا يبطل ناموس الله. ولكن حتّى أولئك الذين حفظوا الشريعة، أو حتى كلّ مَجْمُوعَة قَوَانِين العهد القديم، لم يخلصوا البتّة بواسطتها. فديانة العهد القديم مثل ديانة العهد الجديد كانت دائماً وأبداً تعلن أنّ نعمة الله الممنوحة مجّاناً للخطاة كانت بالإيمان.

اقرأ رومية ٤: ١- ٨ كيف يبيّن هذا الاقتباس أنّه حتّى في العهد القديم كان الخلاص بالإيمان وليس بأعمال الناموس؟

بناءً على قصص وسجّلات العهد القديم، فإنّ إبراهيم حُسب بارّاً لأنّه آمن بالله. لذلك فالعهد القديم يعلّم بأن البرّ بالإيمان. ومن هنا، فإن أيّ فكرة بأن الإيمان «يبطل الناموس» هي خطأ جسيم. الخلاص بالإيمان هو تعليم أساسي هام في العهد القديم، والنعمة متواجدة ومتوفّرة فيه. وكانت فروض المَقْدِس والهيكل كلّها لا تؤدي إلى الخلاص عن طريق الأعمال وإنّما بموت البديل نيابة عنهم.

وأيضاً، ما الذي يوضح كيف غُفِرَ لداود بعد هذه الفعلة الشنعاء مع بثشبع؟ بالتأكيد لم يكن حفظ الناموس هو ما خلّصه، لأنّه قد تعدّى الناموس في مبادئ عدّة، ووُجد مديناً بطرقٍ شتَى. فلو أنّ داود كان لا بدّ أن يَخْلُص بالناموس، لما حصل على ذلك الخلاص أبداً.

وينظـر بولـس إلـى رجـوع داود إلـى حظيـرة الآب علـى أنـه مثـال للتبريـر بالإيمـان. كان الغفـران عمـلاً مـن أعمـال الله بالنعمـة. هنـا، إذن، مثـال آخـر مـن العهـد القديـم يؤيّـد الخـلاص بالإيمـان. وفـي الحقيقـة، مهمـا كان بعـض الإسـرائيليين متزمّتيـن ومتعصبيـن، فـإن الديانـة اليهوديـة كانـت دائمـاً عقيـدة نعمـة، والشـرعيّة المتزمّتـة لليهـود كانـت تحريفـاً لهـذه العقيـدة وليسـت أساسـاً.

فكـر مليّـاً فـي خطيّـة داود ورجوعـه (٢صموئيـل ١١، ١٢؛ مزمور ٥١). مـا الرجاء الذي تسـتخلصه لنفسـك مـن تلـك القصّة المؤسـفة؟ هل يوجـد درس لنا فـي كيفيّة معاملة أولئـك الذين انزلقوا فـي الخطيّة؟

الاثنين

٣٠ تشرين الأول (أكتوبر)

دَيْنٌ أَم نعمة؟

الأمـر الـذي يتناولـه الرسـول بولـس هنـا هـو أكثـر مـن مجـرّد عِلـم لاهوتـي، إنّـه فـي صلـب موضـوع الخـلاص وعلاقتنـا مـع الله. فلـو اعتقـد المـرء بأنّـه يجـب أن يكسـب القبـول- بـأن يصـل إلـى مسـتوى معيّـن مـن القداسـة قبـل أن ينـال التبريـر والغفـران- إذن يكـون الأمـر طبيعيـاً أن يسـتدير الإنسـان لينظـر إلـى نفسـه داخليـاً ولأعمالـه. يمكـن للديانـة أن تكـون مركّـزة علـى النفـس تركيـزاً كبيـراً، وهـو مـا لا يمكنـه أن يمنحنـا الخـلاص مطلقـاً.

علـى النقيـض، إذا تبنّـى إنسـان الأخبـار العظيمـة السـارّة القائلـة بـأنّ التبريـر هـو عطيّـة مـن الله وهـو غيـر مكتسـب وغيـر مسـتحق، فكـم يكـون مـن السـهل ومـن الطبيعـي لذلـك الشـخص أن يحـوّل نظـره إلـى محبّـة الله ونعمتـه، بـدلاً مـن النظـر إلـى ذاتـه.

وفـي النهايـة، مَـن الـذي يُحتمـل أن يعكـس محبّـة الله وصفاتـه، أهـو الإنسـان المنغلـق علـى نفسـه أَمْ ذلـك الـذي يهيمـن عليـه روح الله القـدوس؟

اقرأ رومية ٤: ٦- ٨. إلى أي مدى يتوسّع بولس الرسول هنا في موضوع التبرير بالإيمان؟

«يجـب علـى الخاطـئ أن يأتـي إلـى المسـيح ويتمسّـك باسـتحقاقاته، ويلقـي خطايـاه علـى حامـل آثامنـا وينـال منـه العفـو. إنـه لهـذا الغـرض جـاء المسـيح إلـى العالـم. وهكـذا فبـرّ المسـيح يمنـح للخاطـئ المؤمـن التائـب، فيصبـح عضـواً فـي العائلـة الملكيـة» (روح النبـوة، رسـائل مختـارة، مجلـد ١، صفحـة ٢١٥).

ويواصـل بولـس الرسـول شـرحه بـأن «الخـلاص بالإيمـان» ليـس فقـط لليهـود ولكـن

للأمميّـن بالمثـل (رومية ٤: ٩- ١٢). وفـي حقيقـة الأمـر، إذا فكـرت ملياً فسـتجد أنّ إبراهيـم لـم يكـن يهودياً، فقـد جـاء مـن أسـلافٍ وثنيّـن (يشـوع ٢٤: ٢). إنّ التمييـز بيـن اليهـود والأمميّـن لـم يكـن لـه وجـود فـي زمـن إبراهيـم عندمـا نـال التبريـر (تكويـن ١٥: ٦)، بـل ولـم يكـن قـد أُختتـن بعـد. وهكـذا أصبـح إبراهيـم أبـاً لكليهمـا: ذو الغرلـة والمختَتَـن، كمـا أصبـح مثـالاً عظيمـاً لبولـس ليسـتخدمه كـي يوضـح فكرتـه بـأن الخـلاص متـاحٌ لـكل العالـم. إن مـوت المسـيح كان لـكلّ إنسـان بغـض النظـر عـن العِـرْق أو الجنسـية. (عبرانييـن ٢: ٩).

إذا أخذنـا بعيـن الاعتبـار شـمولية الصليـب، واعتبـاراً لمـا يخبرنـا إيّـاه الصليـب عـن قيمـة كلّ إنسـان، لمـاذا كان التعصّـب العنصـري والقَبَلـي أمـراً شـائناً ممقوتـاً؟ كيـف نتعلـم اكتشـاف التعصّـب فـي أنفسـنا وأن نجتثّـه مـن جـذوره، بنعمـة الله، مـن حياتنـا؟

الثلاثاء

٣١ تشرين الأول (أكتوبر)

الوعد

قد مضى خمسة قرون كاملة على قيام مارتن لوثر بتعليق ٩٥ احتجاجاً على باب كنيسة وتنبرغ. كم هو مدهش أنّ موضوع اليوم يصل إلى جوهر حقيقة الخلاص بالإيمان.

فـي رومية ٤: ١٣، يتـم المقارنـة والتبايـن بيـن «الوعـد» و «النامـوس». فيحـاول الرسـول بولـس أن يؤسّـس خلفيـةً مـن العهـد القديـم لتعليمـه المتعلـق بعقيـدة «البـرّ بالإيمـان». يجـد بولـس مثـالاً فـي إبراهيـم خليـل الله، الـذي يقبلـه العبرانيـون جميعـاً علـى أنّـه جدّهـم الأكبـر. إنّ القبـول والتبريـر قـد جـاءا لإبراهيـم بـدون النامـوس. فـالله أعطـى وعـداً لإبراهيـم بأنّـه سـيكون وارثـاً للعالـم. آمـن إبراهيـم بهـذا الوعـد أي أنّـه قَبِـلَ الـدور الـذي ينطـوي عليـه الوعـد. ونتيجـة لذلـك، قبِلـه الله وعمـل بواسـطته ليخلّـص العالـم. يبقـى هـذا مثـالاً عظيمـاً لعمـل النعمـة فـي العهـد القديـم. وهـذا هـو بـلا شـك مـا شـجّع بولـس للإشـارة إليـه.

اقـرأ رومية ٤: ١٤- ١٧. كيـف يواصـل بولـس الرسـول إظهـار أنّ الخـلاص فـي العهـد القديـم كان بالإيمـان؟ انظـر أيضـاً غلاطيـة ٣: ٧-٩.

كمـا ذكرنـا فـي بدايـة الربـع، إنّـه مـن المهـمّ أن نتذكّـر لمَـن كان الرسـول بولـس يـدوّن رسـائله. هـؤلاء المؤمنـون مـن اليهـود كانـوا منغمسـين فـي نامـوس العهـد القديـم. ولقـد

آمـن الكثيـرون منهـم بـأنّ خلاصهـم يتوقـف علـى كيفيّـة حفظهـم للنامـوس، حتّـى لـو كان العهـد القديـم لا يُعلّـم بذلـك.

وفـي محاولـة لتصحيـح هـذا التصـوّر الخاطـئ لـدى اليهـود، جـادل بولـس بـأنّ إبراهيـم قـد تسـلّم الوعـود، حتـى قبـل إعطـاء النامـوس فـي سـيناء، ليـس بأعمـال النامـوس بـل بالإيمـان.

فلـو أنّ بولـس يشـير هنـا إلـى النامـوس الأدبـي فقـط، والـذي كان موجـودا حتّـى قبـل أن يُعطـى فـي سـيناء، فـإنّ المبـدأ واضـحٌ لا شـك فيـه. يقـول بولـس أن السـعي لاسـتلام وعـود الله عـن طريـق النامـوس يجعـل الإيمـان باطـلاً، عديـم الفائـدة. هـذه كلمـات صعبـة، لكـنّ النقطـة التـي يؤكّـد عليهـا بولـس هنـا هـي أنّ الإيمـان يخلّـص والنامـوس يديـن. وهـو يحـاول أن يعلّـم النـاس بأنّـه مـن الخطـأ أن تطلـب الخـلاص مـن خـلال النامـوس الـذي يقـود إلـى الدينونـة. ونحـن جميعـاً، يهـوداً كنّـا أو أمميـين قـد تعدّينـا النامـوس، ومـن هنـا فنحـن جميعاً نحتـاج نفـس الشـيء الـذي احتاجـه إبراهيـم: بـرّ المسـيح المُخلّـص المُعطـى لنـا بالإيمـان – هـذه هـي الحقيقـة التـي أدّت إلـى قيـام الإصـلاح البروتسـتانتي.

الأربعاء

١ تشرين الثاني (نوفمبر)

الناموس والإيمان

كمـا رأينـا بالأمـس، فـإنَّ الرسـول بولـس أوضـح بـأنّ تعامـلات الله مـع إبراهيـم أثبتـت أنّ الخـلاص يأتـي بوعـد النعمـة وليـس مـن خـلال النامـوس. لذلـك، فلـو رغـب اليهـود فـي الخـلاص، وجـب عليهـم أن يتركـوا ثقتهـم فـي أعمالهـم لنيـل الخـلاص، وأن يقبلـوا الوعـد لإبراهيـم الـذي تـمّ بقـدوم المسـيّا. وحقيقـة الأمـر، بالنسـبة للجميـع، يهـوداً أو أمميـين، هـي أن الذيـن يظنّـون أنّ أعمالهـم «الصالحـة» هـي كلّ مـا يلـزم للتصالـح مـع الله، هـم مخطئـون.

«إن النظريـة القائلـة بـأن الإنسـان يسـتطيع أن يخلـص نفسـه بأعمالـه كانـت هـي أسـاس كل الديانـات الوثنيـة» (روح النبـوة مشـتهى الأجيـال صفحـة ٣٢). مـا المعنـى الـذي ينطـوي عليـه هـذا الـكلام؟ لمـاذا تجعلنـا فكـرة أننـا قـادرون علـى تلخيـص أنفسـنا بأعمالنـا عُرضـة للخطيـة؟

كيف وضّح بولس الرسول العلاقة بين الناموس والإيمان في غلاطية ٣: ٢١- ٢٣؟

لـو وُجـد نامـوس قـادر علـى إعطـاء الحيـاة، لـكان ذلـك نامـوس الله. ومـع هـذا، يقـول الرسـول أنـه لا يوجـد نامـوس قـادر علـى إعطـاء الحيـاة، وحتّـى نامـوس الله لا يسـتطيع عمـل ذلـك، لأنّ الجميـع قـد تعـدّوا الوصيّـة، ولـذا فالجميـع مدانـون بالنامـوس.

ولكـنّ وعـد الإيمـان، الـذي اسـتُعلن كامـلاً فـي المسـيح، يحـرّر كلّ مَـن يؤمـن مِـن الوقوع «تحـت النامـوس» أي تحـت دينونـة النامـوس. يصبـح النامـوس حِمـلاً عندمـا يُقـدّم بـدون إيمـان، بـدون نعمـة. لأنّـه مـن غيـر الإيمـان ومـن غيـر النعمـة ومـن غيـر البـرّ النابـع عـن الإيمـان، يكـون الوقـوع تحـت النامـوس هـو الوقـع تحـت عـبء وإدانـة الخطيّـة.

ما مدى أهمية البرّ بالإيمان بالنسبة لمسيرتك مع الله؟ بمعنى، كيف يمكنك أن تتأكد من أن مفهومك للبِرِّ بالإيمان لا يفقد رونقه بواسطة جوانب الحق الأخرى لدرجة أنك تغفل عن هذا التعليم الحاسم المتعلق بالبر بالإيمان؟ فعلى كل حال، ما قيمة التعاليم الأخرى بدون عقيدة التبرير بالإيمان؟

الخميس

٢ تشرين الثاني (نوفمبر)

الناموس والخطيّة

كثيـراً مـا يـردُ لأسـماعنا بـأنّ العهـد الجديـد مـع الله قـد أبطـل وألغـى النامـوس. وهـم يدللّـون علـى ذلـك باقتبـاس بعـض الآيـات التـي يتوهّمـون أنهـا تثبـت صحـة زعمهـم. إنّ المنطـق فـي ذلـك الاعتقـاد ليـس معقـولاً ولا النظريـة كذلـك.

اقـرأ يوحنـا الأولـى ٢: ٣- ٦؛ ٣: ٤؛ رومية ٣: ٢٠. مـاذا تخبرنـا هـذه الفقـرات الكتابيـة عـن العلاقـة بيـن النامـوس والخطيـة؟

كتـب جوناثـان سـويفت منـذ بضـع مئـات مـن السـنين: «لكـن هـل يمكـن لأي إنسـان أن يقـول أنـه لـو أن كلمـات مثـل السُّـكْر والغـشّ والكـذب والسـرقّة قـد أُبْعِـدت بأمـر البرلمـان مـن اللغـة الإنجليزيـة والقواميـس، فإننـا سنسـتيقظ فـي صبيحـة اليـوم التالـي صادقيـن ومعتدليـن ومحبيّـن للحـقّ؟» [جوزيـف سـويفت، عـروض متواضعـة ومقطوعـات هجائيـة أخـرى (نيويـورك: برومیثیـوس للنشـر، ١٩٩٥)، صفحـة ٢٠٥].

وبنفـس الكيفيّـة، فإنَّـه لـو أُبْطِـل نامـوس الله، فلمـاذا إذاً تُعتبـر السـرقة والكـذب والقتـل أفعـالاً خاطئـة؟ فلـو كان نامـوس الله قـد تغيّـر، لـكان تعريـف الخطيـة قـد تغيَّـر أيضـاً. أو، إذا

كان ناموس الله قد أُلغي، فيجب أن تُلغى الخطيّة أيضاً، وهل هذا شيء يُعقل؟ (انظر أيضاً ١يوحنا ١: ٧- ١٠؛ يعقوب ١: ١٤، ١٥).

يَظهر الناموس والإنجيل بجلاء في العهد الجديد. الناموس يبيّن الخطيّة، والإنجيل يشير إلى العلاج من تلك الخطيّة الذي هو موت وقيامة يسوع المسيح. ولو لم يكن هناك ناموس لما وُجدت الخطية، فَمِنْ أي شيء نخلص إذن؟ في وجود الناموس ودوام مفعوله يكون للإنجيل معنى ومغزى.

وكثيراً ما نسمع بأنّ الصليب أدّى إلى إلغاء الناموس. وهذا اعتقاد مغلوط لأنّ الصليب يبيّن بأنّ الناموس لا يمكن تغييره أو إلغاؤه. فلو أن الله لم يغيّر الناموس أو يحذفه قبل موت المسيح على الصليب، فلماذا يفعل ذلك بعد الصليب؟ لماذا لم يبطل اللهُ الناموسَ بعدما أخطأ الجنسُ البشري وبذلك كان سيوفّر على الناس العقاب الشرعي الذي يسببّه كسر الناموس؟ بهذه الكيفيّة لم يكن لِزاماً أو ضرورياً أن يُصلب المسيح. فموت يسوع يبيّن أنه لو تحتّم تغيير الناموس لكان من الأفضل فعل ذلك قبل الصليب وليس بعده. فلا شيء يحتّم دوام الناموس أكثر من موت المسيح على الصليب، وهو الموت الذي حدث لأنّ الناموس لا يمكن تغييره. فلو كان ممكناً تغيير الناموس ليناسب حالتنا الخاطئة، ألم يكن ذلك أفضل حلاً بدل اضطرار المسيح أن يموت؟

لو لم يكن هناك قانون سماوي ضدّ الزنى، هل كان فعل ذلك يسبّب ألماً أقل ممّا يسبّبه اليوم؟ كيف تساعدك إجابتك على فهم السبب الذي يجعل ناموس الله لا يزال ساري المفعول إلى الآن؟ ماذا كان اختبارك الشخصي مع نتائج عصيان وصايا الله؟

الجمعة

٣ تشرين الثاني (نوفمبر)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، الفصل الذي بعنوان «دعوة إبراهيم»، صفحة ١٠٢-١٠٨، والفصل الذي بعنوان «الشريعة والعهدان»، صفحة ٣١٧- ٣٢٧، في كتاب الآباء والأنبياء؛ واقرأ الفصل الذي بعنوان «الموعظة على الجبل»، صفحة ٢٧٥- ٢٩١، وصفحة ٥٧٣، ٥٧٤ من الفصل الذي بعنوان «يوم نزاع»، وصفحة ٧٢٤- ٧٢٦ من الفصل الذي بعنوان « ‹قد أُكْمِلْ› »، في كتاب مشتهى الأجيال.

«أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ» (رومية ٤: ٤). يشرح الرسول بولس هنا الفقرة المقتبسة ليخرج منها بإثبات أنّ التبرير هو بالإيمان وليس بالأعمال. إنّه يفعل ذلك أولاً بشرح معاني العبارة ‹فُحسِب له برّاً›. هذه الكلمات تبيّن أن الله يستقبل الخطاة بالنعمة وليس بسبب أعمالهم» (مارتن لوثر، تعليق على رسالة رومية، صفحة ٨٢).

«لو نجح الشيطان في قيادة الإنسان لأن يضع قيمةً كبرى لأعماله باعتبارها أعمال استحقاق وبرّ، فهو يعرف كيف يهزمه ويتغلّب عليه بالتجربة، ويجعل منه فريسةً

وضحيّة له ... لذا عليك أن ترش قوائم الأبواب بدم حَمَل جُلْجُثَة فتكون في أمان وسلام» (روح النبوة، أدفنت ريفيو آند ساباث هيرالد، ٣أيلول/سبتمبر، ١٨٨٩).

أسئلة للنقاش

١. لماذا هو هام وضروري أن تفهم بأنّ الخلاص هو بالإيمان وليس بأعمال الناموس؟ ما الأخطاء التي يحميك هذا الاعتقاد من الوقوع فيها؟ ما المخاطر التي تنتظر أولئك الذين لا ينتبهون إلى هذا المبدأ الكتابي الهام؟

٢. ما هي الأدلّة الأخرى التي يمكنك تقديمها لإثبات دوام ناموس الله، حتّى بعد اقتناعنا وإدراكنا بأنّ حفظ الناموس لا يخلّصنا؟

٣. الموضوع الهام لنهضة الإصلاح البروتستانتي هو كيف نخلص. ما هي الطرق التي يمكن بواسطتها أن نتحدّث عن الاختلافات بين البروتستانت والكاثوليك بشأن هذا الموضوع الهام، بينما لا نهاجم أحداً بصفة شخصية؟

٤. كخطاة مبرّرين قد صرنا أواني تتسلّم النعمة والفضل الإلهي غير المستحقّ من الله الذي أخطأنا إليه. كيف تؤثر فينا هذه الحقيقة في معاملاتنا مع الآخرين؟ كم نتحلّى بالنعمة تجاه أولئك الذين يخطئون إلينا؟ كيف نتصّرف حيالهم حتّى لو كانوا لا يستحقّون نعمتنا وأفضالنا؟